العصر الجليدي

المراد بالعصر الجليدي حينٌ من الدهر اشتدّ فيهِ البرد وبلغ اعظم مبالغهِ حتى جمد المآء في اكثر النصف الشمالي من الارض واصبحت تلك البقعة كلها على مثل ما توصف بهِ النواحي القطبية ليومنا هذا . وكان ذلك فيما قدَّروا في اوائل الدهر الرابع وهو الدهر الذي ظهرت فيهِ الحيوانات الكبرى من الانواع الباقية كالفيل والجاموس والفرس والخنزير وغيرها . وقد ابتدأ هذا الحادث بامطارٍ غزيرة متواصلة طبقَّت تلك النواحي باسرها وطمت فيها السيول على القيعان وجوانب الاودية وطغت الانهار على ما حولها الى مسافاتٍ بعيدة . قالوا ففي باريز مثلاً زخر نهر السّين وطفحت مياههُ على الجانبين حتى عمّ جميع الارض التي بين مونمارتر وجبل جنفيّاف وتبسَّط شمالاً حتى كان اشبه ببحيرةٍ امتدّت من سّان جرمّان الى مُونمُورَنسي . وحدث مثل ذلك في الاراضيَ الجبلية الا ان السمآء كانت ترسل شبه عواصف ثلجية ثم لم تلبث تلك الثلوج ان اصبحت جليداً منبسطاً على قمم الجبال وأسنادها الى الحضيض ولم تزل تتراكم حتى اصبحت هضاباً واطواداً وتوالى الامر على ذلك ما شآء الله من السنين الى ان غطى الجليد شمالي اوربا وآسيا واميركا وبلغ جنوبي فرنسا وسويسرا وما يحاذي ذلك من سائر الارض

وقد كان دليلهم على هذا الحادث الغريب ما وجدوهُ من آثارهِ الباقية الى اليوم واظهرها هذه الحجارة التي تعرف بالصخور التائهة (blocs erratiques)

وهي قطعٌ من الصخر توجد ملقاةً على وجه الصعيد ومنها ما تكون ذات حجم هائل حتى تبلغ احياناً آلافاً من الامتار المكعبة الا ان طبيعتها مباينةٌ لصخر المكان الذي هي فيهِ .وقد ذكر بعضهم انهُ عاين في نواحي جنيف وبعض جبال سويسرا صخوراً ضخمة تبين لهُ عند فحصها انها من صخر الجبل الابيض ورأى غيرهُ في سهول المانيا صخوراً اصلها من جبال اسوج وقس على ذلك سائر ما وُجد من هذه الحجارة وهي كثيرةٌ جداً يُرى منها في جميع نواحي الشمال الشرقي من اوربا مقادير لا تحصى واكثرها آتٍ من جبال السكنديناف وفِنلندا ومنها ما قطع مسافة تزيد على ١٢٠٠ كيلو متر حتى انتهى الى المكان الذي هو فيهِ

فبقي ان يُعرف كيف كان انتقال هذه الصخور من اماكنها الى مثل هذه المسافات الشاسعة لان من تأملها يتبين من اول وهلة انهُ لا يمكن ان تكون مما جرّتهُ السيول وذلك اولاً انها فضلاً عن ضخامتها الهائلة حتى لا يقع في التقدير ان سيلاً مهما تعاظم واشتدّ اندفاعهُ يستطيع ان يجرّها فان كثيراً منها يرى في اماكن مرتفعة قد تكون على مسافة ٢٠٠ متر فما فوق الى ١٠٠٠ متر عن الحضيض . وثانياً ان حجارة السيول تكون عادةً مدملكةً ملساء الجوانب لاحتكاكها بما تمرّ عليهِ من الصخور وهذه لا يُرى عليها ادنى اثرٍ للاحتكاك ولكنها تكون ذات زوايا وحروف محدَّدة وسائر جوانبها خشنة متضارسة وبالتالي فانها ترى على نفس الهيئة التي كانت عليها حين اقتُلعت من مكانها . واغرب من ذلك انها تُرى موضوعةً في اماكنها وضعاً مرتباً فمنها ما تكون مصفوفةً على مسافةٍ طويلة صفَّين متوازيين ومنها ما تكون

مؤلفة بشكل دائرةٍ او هلال حتى كانها احتُملت من اماكنها ووضعت كذلك

وقد لبث هذا الامر موضع حيرة لعلمآء طبقات الارض الى ان اتفق لشَرْپنتيّاي وهو احد المنقطعين لهذه المباحث أن كان يوماً في احد اودية سويسرا فعثر فيهِ على حجرٍ ضخم من مثل الحجارة المذكورة فوقف يتامل فيهِ وينظر الى النواحي المجاورة ليعلم كيف وصل الى ذلك الموضع . وبينا هو كذلك مرّ بهِ احد فلاّحي تلك الجهة وكانهُ رآهُ في حيرةٍ فقال لهُ اظنك تفكر في هذا الصخر كيف وصل الى هنا قال نعم . قال قد كان في اعلى هذا الوادي رحًى عظيمة من الجليد ثم زحفت وفي اثنآء تزلجها انقلب هذا الصخر عليها فجرّتهُ الى هنا وبعد ذلك انحلّ الجليد وبقي هـذا الحجر في مكانهِ . فكأنّ شعاعاً من نور اشرق على بصيرة شرپنتيّاي فاخذ يستقري هذه الصخور في مواضع مختلفة ويفحص ما حولها من الارض مدة عشرين سنة واخيراً ظهر لهُ انهُ لا بدّ ان يكون قد مرّ بالارض زمنٌ تعدى فيهِ الجليد حدودهُ المعروفة الى مدًى بعيد فنقل هذه الحجارة من اماكنها على مثل ما وصف لهُ ذلك الفلاح . وقد تتبع علمآء الطبائع امر الجليد في الازمنة المتأخرة وراقبوا ما يكون منهُ في الاماكن العالية فتحققت لهم صحة هذا القول بما لا يحتمل الريب

ومما يزيد هذا القول تاكيداً ان من تفقد المواضع التي فُرِض مجيء هذه الحجارة منها كجبال السكنديناف مثلاً يرى فيها آثار تزلُّج الجليد ظاهرةً في الصخور التي على طريقهِ . وذلك انهُ بما هو عليهِ من الضخامة والثقل يجرف ما يكون في ممرّهِ من حجارةٍ او رملٍ وحصى ويكسّر نواتئ

الصخور التي تكون تحتهُ او على جانبيهِ فترَى الصخور هناك مسحوجةً مخططةً بحزوزٍ واتلام متآزية من اول طريقهِ الى آخرها ويُرى حطام الصخور والحصى متجمعاً على جانبي ممرّهِ في خطٍّ متصل بحيث انهُ بتتبُّع هذه الاتلام والحجارة المتجمعة يُهتدَى الى المواضع التي ابتدأ تزلجهُ منها ويُعرَف مصدر الصخور التي جآء بها

اما سبب حدوث هذا البرد العظيم ثم سبب انقطاعهِ ورجوع الحرارة الى درجتها الاولى فمما لم يصلوا فيهِ الى تعليلٍ شاف . الا انهُ لما كان هذا الانقلاب العظيم امراً عاماً لا موضعياً فاكثر علمآء طبقات الارض يجعلونهُ مسبباً عن حادثٍ كونيّ زعم بعضهم انهُ تغيُّرٌ في اتجاه محور الارض وانتقال قطبيها الى غير مكانهما . وزعم غيرهم انهُ وصول ارضنا وسائر العالم الشمسي الى موضعٍ من الفضاء هو اشدّ برداً مما كانت فيهِ ومما هي فيهِ اليوم . وذهب آخرون الى انهُ مسببٌ عن صدمة نجمٍ من النجوم المذنبة وكأن هذا تعليلٌ للسبب الاول وهو تبدُّل اتجاه محور الارض . وارتأى جماعةٌ انهُ ظهر في عصرٍ من الاعصار شمسٌ اخرى مع شمسنا وكانت الارض قد بلغت آخر مبلغ من البرد حتى تغطت بالجمد فلما ظهرت الشمس الاخرى انحل ذلك الجمد وعادت حرارة الجوّ الى ارتفاعها ثم توارت الشمس الاخرى ولم يعلم ما كان من امرها بعد ذلك . قالوا والارض الآن آخذةٌ في البرد ايضاً حتى تعود الى ما كانت عليهِ من الحال الجليدية وعليهِ فلا يكون هناك عصرٌ جليديٌّ بخصوصهِ ولا يكون البرد الذي وصلت اليهِ الا تدريجياً طبيعياً وستعود اليهِ كذلك

وهناك رأيٌ آخر لا بأس من تلخيصهِ وهو ان الارض تدور حول الشمس في فلكٍ هليلجي محل الشمس في احد محترقيهِ ويقال لأقرب نُقَطهِ من الشمس نقطة الرأس ولأبعدها نقطة الذنب وهاتان النقطتان تنتقلان من الغرب الى الشرق نحو ٦٢ً من القوس كل سنة فتتمان دورتهما حول الشمس في ٢١٠٠٠ سنة وفي هذه المدة تمرّان على جميع فصول السنة ويترتب حرّ الفصول وبردها وطولها وقصرها على مقدار بعد الارض عن الشمس. ثم ان محور الارض مائل على فلكها نحو ٢٣ درجة ونصف فمتى كان احد قطبيها مقبلاً على الشمس كان القطب الآخر مدبراً عنها بالضرورة وبذلك ينعكس امر الفصول بين النصف الشمالي منها والنصف الجنوبي . وقد تقدم ان نقطتي الرأس والذنب تدوران حول الشمس في مدة ٢١ ٠٠٠ سنة فمن البديهي انهُ في نصف هذه المدة اي ١٠ ٥٠٠ سنة يكون الصيف في احد نصفي الارض اقصر من صيف النصف الآخر وشتآؤهُ اطول من شتآئهِ وبعد ذلك يأخذ الامر في الانعكاس وهذا ما يقال لهُ الصيف الاكبر والشتآء الاكبر ويقال لمجموعهما وهو المدة المذكورة السنة الكبرى . فمتى كان الشتآء الاكبر في احد قسمي الارض يبرد الجوّ فيهِ تدريجاً بحيث ان ما يحدث فيهِ من الثلج والجليد يزيد على ما ينحلّ منهما في مدة الصيف فتزداد على ذلك مقادير الثلج والجليد سنةً بعد سنة وتتراكم وفي آخر المدة المذكورة يتجمع منهما على ابرد القطبين ركامٌ ذو حجمٍ هائل وكثافةٍ عظيمة حتى تتغير هليلجية الارض وينحرف مركز جاذبيتها الذي تميل جميع اجزآء المياه على سطحها ان تتوزع بالنسبة اليهِ على السوآء

ثم ان الشتآء الاكبر للقطب الجنوبي قد كانت نهايتهُ في سنة ١٢٤٨ للميلاد وهي السنة التي فيها وافقت نقطة الرأس اوان المنقلب الشتوي عندنا وذلك بعد ان لبثت الثلوج تتراكم على القطب المذكور مدة ١٠٥٠٠ سنة وفي هذه المدة انحازت مياه البحار الى جهة هذا القطب وغطّت معظم النصف الجنوبي من الارض وانحسرت عن القارات والجزر الواقعة مما يلي القطب من النصف الشمالي . ولكن منذ ٦٥٠ سنة بدأ الشتآء الاكبر في النصف الشمالي فهو داخلٌ الان في طور البرد والثلج وقد اخذ الجليد يتراكم عليهِ سنةً بعد سنةٍ ومن الآن الى مئة قرن بعد ان يعود مركز جاذبية الارض الى موضعهِ الطبيعي الذي هو المركز الهندسي للشكل الهاليلجي يتخطاهُ الى ما وراءهُ وفي اثنآء هذه المدة يحلّ الجليد المتراكم الآن في القطب الجنوبي وتجري مياههُ الى النصف الشمالي وحينئذٍ تبرز قشرة الارض هناك وتظهر الاراضي التي كانت مغمورةً بالمياه

وهكذا فالبرد يتعاقب على القطبين وينقل المياه من احد جانبي الارض الى الآخر وبانتقال مركز الجاذبية وتحوّل جانب من مياه البحار عن احد نصفي الارض الى النصف الآخر تنتقل الصخور المذكورة من اماكنها بقوة اندفاع المياه كما يدل على ذلك اتجاهها في الحادث المشار اليهِ من الشمال الى الجنوب . اه

قلنا وعلى ما في هذا المذهب من البنآء على اصولٍ علمية فانهُ لا يخلو من شطط في القسم الاخير منهُ لان ما ذُكر من الزيادة المتتابعة في مقدار الثلوج في احد القطبين لا يقضي بحدوث طوفانٍ في ناحية القطب الآخر

حتى يجرّ اندفاع المياه فيهِ مثل تلك الاجرام الضخمة وذلك فضلاً عما ذُكر في اثنآء هذا الفصل مما ينفي كون الصخور المذكورة مما جرّتهُ السيول وفضلاً عن ان هذه الزيادة في حجم الثلج والجليد على احد القطبين لا يمكن ان تكون بالقدر الذي يغيّر مركز جاذبية الارض تغييراً محسوساً وينقلهُ عن موضعهِ مسافةً يكون عنها مثل الاثر الذي ذكروهُ . بل لو قيل ان ازدياد البرد في احد قطبي الارض يكون سبباً في مثل ما ذُكر من تراكم الثلوج ثم جُعِل نقل الصخور المذكورة مسبباً عن تزلج الجليد على ما تقدم بيانهُ لكان اقرب شبهاً بالصواب والله اعلم

اكتشاف جغرافي

كلما ظن الانسان انهُ قد اتى على جهات الارض واكتشف كل موطئ قدمٍ منها ظهر لهُ من ورآء حجب الغيب بقاعٌ لم تقع عليها عين باحث وقبائل من البشر لا عهد بهم لسائح فعاد الى رسمهِ الجغرافي يصححهُ ويملأ بعض فراغهِ والى سلسلة الاجيال البشرية يزيد في تعدادها ووصف كيانها وملامحها وعوائدها واديانها . وهذا اليوم من الامور المستغربة بعد ان جال الانسان في جميع اطراف الارض وزواياها ولم يدع برًّا ولا بحراً الا قطعهُ بركائبهِ وسفنهِ

وآخر ما اكتُشف من ذلك قبيلةٌ شمالية اكتشفها المسيو جاكلسون في سيبيريا لم يُسمَع بذكرها من قبل ولا توهم احدٌ وجودها . وذلك انهُ من نحو سنتين انطلق هذا الرحالة في بعثٍ وجَّههُ المسيو موريس جُوزُوپ قيم

دار المواليد الثلاثة في بطرسبرج فاوغل في شمالي سيبيريا وجاس كل البقاع التي مرّ بها وهو ينوي البحث عن آثار من كان بها من قبائل العصور الخالية ولم يدُر في خلدهِ انهُ سيقع على شيء مما عثر عليهِ اخيراً

وقد اكتشف في اثناء سياحتهِ هذه آثاراً عديدة في جملتها ناب ماموث وجدهُ في جزائر سيبيريا الجديدة في الاوقيانوس الشمالي وزنهُ ٢٢٠ ليبرة (نحو ٧٠ اقة) وهو اكبر نابٍ وُجد الى الآن. ثم عثر على انيابٍ أُخر وعظام من هيا كل هذا الحيوان المنقرض في فوَّهة نهرٍ هناك يقال لهُ نهر انادير ووجد ما يزيد على الفي قطعة عظمٍ منقوشة من صنعة الاوّلين من سكان تلك النواحي وفيها ما يدلّ على معرفتهم لبعض الفنون ودرعاً من الحديد اشبه بالدروع اليابانية القديمة

اما القبيلة التي عثر عليها في تلك الناحية فهي فيما ظهر لهُ تقرب كثيراً من هنود اميركا مما لعلهُ يدل على وحدة الاصل بينها وبينهم لانهُ وجد فيها شبهاً من اخلاقهم ولغتهم وعباداتهم وتقاليدهم وتسمى هذه القبيلة باليُوكُوجير. وقد علم منها انها كانت فيما سلف من القبائل الكبيرة لا يقل عددها عن بضعة آلاف ولكن تفشى بينها داء الجُدَري من عهدٍ غير بعيد فاهلك منها خلقاً كثيراً ولم يبقَ منها الا سبع مئة نفس وقد هاجرت من مواطنها الاولى واقامت بناحية كُولِيما في بقعةٍ منقطعة من الارض تبلغ مساحتها اربعة آلاف ميل مربع

قال ومن غريب امر هؤلاء القوم انهم اذا ارادوا النُقلة للهجرة الشتوية لا يستخدمون الوعول في جرّ زلاّجاتهم ولكنهم يقرنون اليها الكلاب والنساء . . . وهي ايضاً من عوائد الهنود . وهم يقيمون في الصيف تحت

اكواخٍ من هشيم الشجر او تحت خيامٍ من الأَدَم وفي الشتآء يأوون الى اكواخٍ من خشب

وهم اذا قوبلوا بسائر سكان سيبيريا لا يُرَى فيهم شيءٌ من الملامح المغولية فانهم صغار القامات دقاق البنية حسان التركيب ووجوههم صغيرة تميل الى الاستدارة وفي نسآئهم بعض الجمال ولونهنَّ يقرب من الوان البيض . فلا يجمع بينهم و بين قبائل شمالي سيبيريا الا الدين ومذهبهم يُعرَف بالشامانية (نسبةً الى الشامان وهو الكاهن بلسانهم) وهم يعبدون كائناً اسمى يسكن في الشمس الا انهُ وكل سلطانهُ في الارض الى ارواحٍ صالحة او شريرة منها روحٌ مخيف يسمى بالشيطان وهو لا يُترضَّى الا بالعبادات التي يرفعها اليهِ كهنتهم . ومن سنتهم انهُ اذا شاخ احدهم قتلهُ بنوهُ بغير رأفةٍ كما يفعل البارياس من اهل الهند ولكنهم لا يقتلونهم بقصد التخفيف عنهم من ثقل الشيخوخة بل طاعةً لارواح الهوآء فانها تأمر باهلاك من استوفى قسطهُ من الحياة الارضية

واليوكوجير مستقلون بانفسهم ليس عليهم سلطان لاحد ومعيشتهم من الصيد وعندهم شباك يتخذونها من عند مجاوريهم من ابنآء البلاد وهم يحسنون استعمالها . ولبث المسيو جاكلسون واصحابهُ عندهم عدة اشهر يشاركونهم في صيد البر والبحر وكانوا اكثر ما يخاطبونهم بالايمآء . وقد حمل المسيو جاكلسون الى دار المعروضات كثيراً من انواع الاسلحة وآلات الصيد وادوات المنزل والزينة والآنية المختصة بالعبادات. ومن غريب ما وجد عندهم بيت قربان من الذهب من صنعة الاسبنيول في القرن السادس عشر

عليهِ كتابةٌ لاتينية ولم يكن رجال القبيلة يعلمون ما هو ولا من اين وصل اليهم. ثم سافر من عندهم على الزلاّجات فاستعمل في جرّها ١٥٠ كلباً من كلاب تلك البلاد فقطع ٨٠٠ ميل في ٤٤ يوماً ثم نزل هو واصحابهُ في الزوارق ذات المجاذيف فقطعوا مسافةً اخرى وبعد ذلك اتموا سفرهم على ظهور الخيل . اه

استكراه النبات

المراد باستكراه النبات معالجتهُ بالطرق الصناعية حتى يُخرِج زهرهُ أو ثمرهُ في غير اوانهِ (تعريب Forçage) وقد توصل علماء اوربا الى ذلك بايواء النبات في زمن الشتاء الى بيوت زجاجية يصنعونها على شكل آزاج (جمع أزَج وهو البيت المسنَّم) يسدّون خصاصها من كل ناحية ويرفعون الحرارة في داخلها شيئاً فشيئاً حتى تبلغ ١٥° من السنتغراد فلا يمضي على النبات ايامٌ حتى يخرج زهرهُ ويعقد على حدّ ما يكون ذلك في اوانهِ الطبيعي

غير انهم اهتدوا في هذه الايام الى اكتشافٍ يزيد في سرعة العمل كثيراً. وهو تعريض النبات المراد استكراههُ لأبخرة الايثير فيجعلونهُ في بيتٍ صغير مسدود سدًّا هرمسياً ويضعون فيهِ اناء واسعاً يجعلون فيهِ مقداراً من الايثير الكبريتي الخالص وهو نحو ٤٠٠ غرام للمتر المكعب من الهواء ويفتحون فوَّهتهُ لخروج البخار ويتركون النبات هناك مدة ٤٨ ساعة . ولا بدّ من مراعاة درجة الحرارة التي يكون فيها والحالة هذه فلا تكون دون ١٧ ولا فوق ١٩° . ثم يخرجونهُ من هناك ويضعونهُ في الأزَج أي

البيت الزجاجي المذكور قبل ويجعلون الحرارة فيهِ على ١٦ الى ٢٠° فلا يمرّ عليهِ ثلاثة أو اربعة ايام حتى تتفتح براعم زهرهِ وهي لا بدّ ان تكون قد بدأ ظهورها فيهِ قبل زمن الشتآء والا فانهُ يورق ولا يزهر. و بعد ان تتفتح البراعم الاولى بثمانية ايام يستكمل ظهور براعمهِ الأُخر ولا يأتي عليها ستة أو ثمانية ايام ايضاً حتى يخرج زهرها خروجاً واحداً . وقد امتُحن هذا في كثير من انواع الزهر ولا سيما السوسن فنجح نجاحاً تاماً وكان زهرهُ اكثر وانضر من الزهر الذي يُعالج اخراجهُ بدون ذلك

وقد اهتدوا الى استخدام سوائل اخر غير الايثير مما لهُ خصائصهُ كالكلوروفرم والألدهيد النملي والاساتون والنازولين وغيرها الا ان امتحانهم الى الآن كان مقصوراً على اخراج الزهر ولا يبعد ان يتوصلوا بعد حين الى استخدام مثل ذلك في اخراج الثمر. وتأثير هذه السوائل يختلف تبعاً لنوعها ونوع النبات وكلها اذا زادت مدة تعريضهِ لها عن ٤٨ ساعة ادّت الى هلاكهِ

وقد اختلفوا في تأثير هذه المواد على النبات فقيل هو تخدير كما هو المتبادر الى الذهن وقيل تنبيه والظاهر ان الصحيح الاول لان بعضهم امتحن تبخير النبات الحساس بالايثير فلما اخرجهُ وجدهُ قد فقد ما كان لهُ من الحسّ ولم يعاودهُ الا بعد حين . قالوا وحقيقة فعلها انها بما تحدثهُ على النبات من الخدر تزيد في خمودهِ وكمون قواهُ في زمن البرد حتى اذا أُخرج الى حالةٍ يمكن ان يعاود فيها قواهُ النباتية ظهرت فيهِ للحال فكأنهُ قد حصل تعاوُر بين مدة هذا الخمود ومقدارهِ فأُخذ من احدهما للآخر والله اعلم

مربعة ابن دريد

(تتمة)

حرف الطآء

طابَ فقد الحياة بعد أُناسٍ شطَّ بي عنهم المحلُّ الشحيطُ (١)
طال من بعدهم مطالُ هموم حظُّ قلبي منها الجوى والنحيطُ (٢)
طاف والليل مدلهمُّ الحواشي طارقٌ للرقاد عني مُميطُ (٣)
طوَّقتني الدُجى يدٌ لا تُجارَى عشرُ معشارها بشكري محيطُ

حرف الظآء

ظعنوا في كَنَف الاله وحفظهِ لا زلت ارعى عهدهم واحافظُ
ظلموا ولست بحائدٍ عن ظلمهم الا اليهم فالهوى لي باهظُ
ظنّي الوفآء مجانباً ومقارباً ابداً ألاينُ مرّةً واغالظُ
ظفرت باوفر حظها عينٌ اذا ظلّت ترامق (٤) حِبَّها وتلاحظُ

حرف العين

عصى عاذليهِ واعترتهُ لجاجةٌ فرتهُ نزاعاً والمحبُّ نَزُوعُ (٥)
عرتهُ خطوبٌ شرّدت نوم عينهِ وليس لعين المستهام هجوعُ
عزآءك لا تُغلَب عليهِ فانهُ هو الدهر ان يؤمِنْ فسوف يَرُوعُ
عصى عاذليهِ اذ اطاع حِمامَهُ ويعصي الفتى في حبهِ ويطيعُ

---

(١) فعيل من شحط اي بعد مثل شطَّ (٢) الزفير (٣) مبعد
(٤) ترمق مرة بعد مرة والرمق اللحظ الخفيف (٥) قولهُ فرتهُ كذا في الرواية والنزاع الشوق

حرف الغين

غابوا فعيشي ناصبٌ من بعدهم دامت لهم نُعَمى وعيشٌ رافغٌ [١]
غُودِرتُ بعدهمُ اسيرَ صبابةٍ كمدًا يغصّصني الشراب السائغُ
غنَّت فظلَّ غنآؤها لي شاغلاً لكن لها قلبٌ وعيشك فارغُ
غوريةٌ [٢] تعلو الغصونَ كانما اهدى لها الطوق المؤلف صائغُ

حرف الفآء

فَنَنٌ على دِعصٍ [٣] تألّق فوقهُ بدرٌ يضيءُ بهِ الظلام العاكفُ
فاتت محاسنهُ فكل مسربلٍ بالحسن عن ادنى مداهُ واقفُ
فاذا بدت شمس النهار ووجههُ رجعت ولون النور منها كاسفُ
فرد المحاسن لا يقوم بوصفهِ ابداً وان بلغ النهاية واصفُ

حرف القاف

قالوا صحوتَ فقلتُ تأبى لوعةٌ في القلب يلذع جمرها بل يحرقُ
قلقت مدامعهُ فبُحْنَ بسرّهِ مَن ذا يقارنهُ الهوى لا يقلقُ
قلبي الملوم على الهوى بل مقلتي بل ذا وذاك كلاهما لي موبِقُ [٤]
قل ما بدا لك عاذلاً ومناصحاً قَدَرَ الهوى فأسيرُهُ لا يُطلَقُ

حرف الكاف

كن كيف شئت فانني لك وامقٌ انتَ المليكُ وقلبيَ المملوكُ
كم ليلةٍ قاسيتها بسهادها والقلب تحت لظى الهوى مسبوكُ

(١) خصيب (٢) نسبة الى الغور وهو خلاف النجد ويريد حمامةٌ غورية
(٣) الفنن الغصن والدعص الكثيب من الرمل (٤) مهلك

كبدٌ تذوب ومقلةٌ موقوفةٌ دَرَجٌ[1] السُهادُ ودمعها مسفوكُ
كيف التخلص من مقارنة الهوى والجسم ملتبسٌ بهِ منهوكُ

حرف اللام

لكِ العهد عهد الله أَلاَّ يزال لي بذكراكِ او الق المنيةَ شاغلُ
لقلبيَ من ذكراكِ في كل خطرة تلهبُ شوقٍ ان عدانيَ قاتلُ
لبستُ نحولاً لو تلبس بالصفا لأَصبحَ منهُ صَلدُهُ وهو ناحلُ
لعلكِ ان امسيتُ رهنَ حفيرةٍ تقولين جادتهُ الغيوث الهواطلُ

حرف الميم

مُنّي عليَّ براحة من مهجتي فالموت ايسر من عذابٍ دائمِ
مالي سوى الزمن المعلّقِ بالمُنىَ نفسٌ تَرَدَّدُ في الفؤاد الهائمِ
ملكتْ فؤادي وهي اعنفُ مالكٍ وتحكمت والحبُّ أجورُ حاكمِ
موسومةٌ بالحسن لكن فعلها سمجٌ كذا فعلُ المليك الظالمِ

حرف النون

نمتَ عن ليل مُدنَفٍ حيرانِ نومهُ نازحٌ عن الاجفانِ
نَعِمَتْ بالكرى جفونكَ لما سلِمَ القلبُ من جوى الاحزانِ
نالني منك ما لو التبس الطو دُ بهِ ذلَّ واهيَ الاركانِ
نظري خاشعٌ وقلبي كتومٌ ودموعي تبوح بالكتمانِ

حرف الواو

وعيشكِ لا زلتُ حلِفَ الضنى ولا اَلتامَ[2] بعدكِ للقلب لَهوْ

(١) بمعنى دبَّ (٢) اجتمع واصلهُ التأم بالهمز فلينهُ

ودون مزارك لليعملاتِ اذا ما ابتُذِلنَ ذميلٌ وشَدْوُ (١)
ومما يزيد بكم صبوةً وَلُوعُ العواذل والعذل لغْوُ
وُقيتَ بنفسي صروفَ الردى وكلُّ زماني صروفٌ ونَبْوُ (٢)

حرف الهآء

هنيئاً لعينك وِردُ الكرى اذا الليل اردف من جانبيهِ
هل الحبُّ لي منصفٌ مرةً فيُعدِي (٣) رقادي على مقلتيهِ
هوايَ رقيبٌ عليَّ فما يعطِّفُ قلبيَ الا عليهِ
هو البدرُ يدركني ضوءهُ ولا استطيع وصولاً اليهِ

حرف اللام الف

لا تُصغِينَّ (٤) في الهوى لمن عذلا وسقِّيانى سقُيتما نَهَلا
لا والذي ملَّك الهوى جسدي ما هجعت مقلتايَ اذ رحلا
لا زال طيفٌ لهُ يؤرِّقني يطردُ عني الكرى اذا نزلا
لاصبرَ عمَّن اذا تصوَّرَ لي رايتُ بدر السمآء قد أفلا

حرف اليآء

يرجّي اصطباراً وايُّ اصطبارٍ يكون لقابٍ عميدٍ جريِّ (٥)

(١) اليعملات النياق والذميل السير اللاين والشدو مصدر شدا الابل اذا ساقها
(٢) جفآء (٣) ينصر (٤) كذا في الرواية ولعل الاصل لا تصغيا كما يدل عليهِ عجز البيت (٥) العميد الذي هدَّهُ العشق. وقولهُ جريّ لا يظهر لهُ معنًى في هذا الموضع ولعلّ لهُ اصلاً غير هذا. على ان فيما سبق الفاظًا اخرى لا يستقيم معناها على ظاهرهِ او يبعد تأويلها وقد تكلفنا تخريج بعضها على قدر ما يحتملهُ المقام وتركنا بعضها للمطالع والله اعلم

يقول اذا ما الهوى شفهُ　　لقد خصَّ قلبي بداءٍ دويِّ
يبيتُ على مثل جمر الغضى　　وان بات فوق مهادٍ وطيِّ
ينام الخليُّ وما للشجيِّ　　رُقادٌ اذا طال نوم الخليِّ

متفرقات

قوَّة قشر البيض — جاءَ في احدى الجرائد ذكر امتحانٍ غريب اجراهُ الاستاذ نجوي الاميركاني لمعرفة قوّة قشر البيض . وذلك انهُ يقيم البيضة على محورها الاطول ويضع فوقها اقراصاً من الحديد يوسط بينها وبين البيضة قرصاً من المطاط حتى لا تباشرها صلابة الحديد ثم لا يزال يزيد قرصاً بعد آخر حتى تنكسر . وقد تبين لهُ بعد عدة امتحانات ان البيضة تحتمل من الثقل ما بين ١٤ و٣٤ غراماً ومتوسط ذلك ٢٤ غراماً وحين تنكسر يكون انكسارها على دائرةٍ من الدوائر العظمى او تسقط برمتها حُطاماً ولكن بدون ان يتغير شكلها قبل ذلك

استخدام غريب للقوة الدافعة عن المركز — ما زال اصحاب الصناعة يحاولون طريقةً لصنع انابيب الفولاذ (الصلب) من دون لحام لان ذلك متعذرٌ فيها على الطريقة التي يُسبك بها الحديد والنحاس وغيرهما . وقد وُفق احد مهندسي الاسوجيين المسمى المسيو سترِدْسبْرْج في ذلك الى طريقةٍ طبيعيةٍ سهلة الاستعمال وهي ان يُسبك الفولاذ في قالب اسطواني

يوضع اولاً عمودياً و بعد ان يُفرَغ فيهِ المقدار اللازم تُسدّ فوّهتهُ للحال ويحوَّل الى وضعٍ افقي ويدار على محورهِ بسرعةٍ شديدة . ومن المعلوم انهُ اذا أُخذت قنينة ووُضع فيها مآء وأُديرت كذلك على نفسها يتخذ المآء فيها شكلاً مجوفاً مستطيلاً وهذا نفسهُ يكون من الفولاذ وهو في حالة السيلان فيندفع الى جوانب القالب ثم لا يلبث ان يبرد فيخرج بشكل اسطوانةٍ جوفآء ذات ثخانةٍ وقوةٍ واحدة

الحدائق العمومية في الولايات المتحدة ــ ذكرت السينتفك اميركان انهُ منذ خمسين سنة لم يكن في جميع مدن الولايات المتحدة حديقةٌ عمومية . وفي سنة ١٩٠١ كان في المدن التي يبلغ سكانها ٥٠ الف نفس فما فوق ٢٣٦٠ حديقة يكون مسطَّحها اكثر من ٢٤ الف هكتار من الارض (الهكتار عشرة آلاف متر مربع) وثمن جميعها لا يقلّ عن مليارين ونصف مليار من الفرنكات . وتقدَّر الحدائق العمومية في جميع مدن الولايات المذكورة بما يبلغ مسطَّحهُ ٣٠ الف هكتار وينفق عليها جميعاً نحو ٥٥ مليون فرنك كل سنة

اضرار الكينا ــ تفشى في هذه الايام في شرقي افريقيا نوعٌ من الحمى كثرت بهِ الوفيات الى حدٍّ اعيا الاطبآء ومن غريب ما روتهُ الفُورَين اوفيس عن تقرير لقنصل المانيا هناك انهم بعد طول الفحص والتجارب ثبت لهم ان هـذه الحمى تحدث بسبب اخذ الكينا لكن لا بد ان يتقدم ظهورها

اسباب معُدِيّة في مزاج العليل ولذلك امتنعوا من اعطآء الكينا الا بعد الاحتياط والتثبت في حالة العليل فقلّت بعد ذلك الاصابات والوفيات

اسئلة واجوبتها

عكآء — ما هي افضل طريقةٍ لتبييض الشمع العسلي . وقد بلغني ان مسحوقاً يذاب مع الشمع فيبيضّ بهِ وهي ان صحت طريقة بسيطة فما هو هذا المسحوق　　احد المشتركين

الجواب ـ افضل ما يُستعمَل لتبييض الشمع العسلي ان يعرَّض بعد تنقيتهِ للرطوبة واشعة الشمس . والطريقة في ذلك ان يذاب الشمع اولاً فيما يسمى بحَمّام ماريا وبعد ان يذوب يُرفَع عن النار ويُترَك ريثما يصفو ويركد ما فيهِ من الموادّ الغريبة ثم يصفّى الى اناءٍ آخر ويترك ايضاً حتى يرسب ما بقي فيهِ من الكدر . وبعد ان يصفى مرةً اخرى يُسكب في اناءٍ مثقَّب الاسفل فيسقط على شكل خيوطٍ دقيقة ويكون تحت الاناء المذكور اسطوانةٌ من خشب يُجعَل نصفها غائصاً في المآء البارد فتُستقبَل تلك الخيوط على الاسطوانة المذكورة وحال انسكاب الشمع عليها تدار على نفسها فيلتفُّ حولها على شكل رقائق ضيقة . فتُنزَع هذه الرقائق وتُبسط على قطعةٍ من النسيج وتجعل في الشمس مع رشها بالمآء عدة مرات في النهار الى ان تبيضّ . وان لم تبلغ تمام البياض من اول مرةٍ يعاد العمل عليها ثانيةً الى ان يتم قصرها كما ينبغي

وقد يبيَّض الشمع بالكلور بأن تعرَّض رقائقهُ المذكورة لغازهِ أو بأن

يُمزَج بنوعٍ من انواع الهيپوكلوريت كهيپوكلوريت الجير مثلاً وهو المسحوق الذي اشرتم اليهِ . الا انهُ على الحالين يصير قصِماً اي سريع التفتت ويقلّ قبولهُ للاشتعال ولذلك قلما تُستعمَل لهُ هذه الطريقة . على ان المبيَّض بالطريقة الاولى يقسو ايضاً فيعالج بان يضاف اليهِ قليلٌ من الشحم على نسبة ٥ في المئة .

القاهرة — وقعت بيني وبين احد رصفآئي مناقشةٌ على قول ابن معتوق « خفرت بسيف الغنج ذمة مغفري » فذكرت ان هذا الاستعمال غلط لانهُ لايقال خفرتُ ذمة فلان بمعنى نقضتها وانما يقال خفرتُ بها او اخفرتها طبقاً لما جآء في مقالتكم «لغة الجرائد» (ص ٣٨) . ولم يكن لدينا من كتب اللغة الا المصباح المنير للفيّومي واقرب الموارد المطبوع في مطبعة اليسوعيين في بيروت فراجعنا هذه اللفظة في الاول فوجدنا كلامهُ فيها موافقاً لما ذكرتموهُ بالحرف ثم راجعناها في الثاني فاذا هو بالعكس لاننا وجدنا فيهِ بعد ذكر « خفرهُ » بمعنى اجارهُ ما صورتهُ « خفرهُ ايضاً خفراً وخفوراً نقض عهدهُ وغدرهُ يقال خُفِرت ذمة فلانٍ خفوراً اذا لم يوفَ بها ولم تتمّ » . اه . ولما لم يمكنّا ان نصل من هذين الكتابين الى حقيقة اتفقنا على ان نردّ المسئلة اليكم يقيناً بأنكم لاتحيدون عن قول الحقّ ولو ظهر انهُ مخالف لرأيكم ورجآء انكم لا تضنون علينا بالجواب ودفع الارتياب ولكم منا الشكر سلفاً

محمود حلمي

من متخرجي المدارس الاميرية

الجواب — الذي ذكرناهُ في هذه المسئلة هو ما ترونهُ منصوصاً عليهِ في جميع كتب اللغة التي بين ايدينا . قال في القاموس « خفرهُ وبهِ وعليهِ اجارهُ ومنعهُ وأمَّنهُ وخفر بهِ خفراً وخفوراً نقض عهدهُ وغدرهُ كأخفرهُ » اه . وهذا ما تجدونهُ في تاج العروس من غير زيادةٍ ولا استدراكٍ ومثلهُ في المصباح على ما ذكرتم . واقتصر في الصحاح ولسان العرب والنهاية والاساس على الفعل الثاني اي اخفرهُ دون خفر بهِ ولكن لم نجد احداً من كل هؤلآء الائمة ذكر خفرهُ بمعنى نقض عهدهُ ولا عثرنا على ذلك في استعمالٍ قديم . وقد بحثنا عن الموضع الذي نقل منهُ صاحب اقرب الموارد هذا الاستعمال حتى راجعنا عبارة لسان العرب المطبوع في مصر فوجدنا فيها خطأً في الضبط لم نشكّ انهُ هو الذي استدرجهُ في هذه المهواة كما سنبينهُ وهذا نصّ عبارة لسان العرب . « أخفرهُ نقض عهدهُ وخاس بهِ وغدرهُ وأخفر الذمة لم يفِ بها .. والخفور هو الاخفار نفسهُ من قِبَل المُحقِرِ من غير فعل على خَفَر يخفر * شَمِرٌ * خفَرَتْ ذمة فلان خفوراً اذا لم يوفَ بها ولم تتمّ وأخفرها الرجل وقال الشاعر

فواعدَني واخلف ثمّ ظني وبئس خليقة المرء الخُفُورُ

وهذا من خفَرَتْ ذمتُهُ خفوراً » . انتهى المقصود منهُ . وقد جآء لفظ « خفَرَت » من قول شمر مضبوطاً في الموضع الاول اي في قولهِ « خُفِرَتْ ذمة فلان » مضبوطاً بصيغة المجهول وفي الموضع الثاني اي في قولهِ « وهذا من خفَرَتْ ذمتُهُ » مضبوطاً بصيغة المعلوم مع جعل التآء ضميراً للمتكلم فجآء الفعل في الموضعين في صورة المتعدّي وكلا الضبطين غلطٌ من الناسخ

او سهوٌ من المصحح . وبيانهُ ان صاحب لسان العرب بعد ان ذكر الخفور اولاً ونصّ على انهُ « من غير فعل على خفر يخفر » حكى عن شَمِر انهُ يُستعمَل لهُ فعلٌ وهو ما ذكرهُ بقولهِ « خَفَرَتْ ذمة فلانٍ خفوراً » فاشار الى ان الخفور هو مصدر خَفَرَتْ كما صرَّح بهِ بعد الاستشهاد بالبيت . والفعل حينئذٍ لازمٌ لا متعدٍّ كما دلّ عليهِ بقولهِ « وأخفرها الرجل » فهو مبنيٌّ للمعلوم لا للمجهول لانهُ لوكان للمجهول لوجب ان يقول بعدهُ « وخفرها الرجل » بصيغة الثلاثي والالزم ان يكون المعلوم من صيغة والمجهول من صيغة اخرى . ومن هنا تعلم ان الفعل في قولهِ « وهذا من خَفَرَتْ ذمتهُ » هو عين الفعل المذكور قبلاً في قولهِ « خَفَرَت ذمة فلانٍ » فكلا الفعلين مبنيٌّ للفاعل والتآء في كليهما للتأنيث

فاذا تأملت ذلك كلهُ لم يبقَ عندك ريب في صحة ما ذكرناهُ ولكن البلآء كل البلآء ان العلم قد اصبح في هذه الايام تجارةً واصبح رجالهُ فوضى فترى كل من عرف كلمتين من الصرف يتصدى للتأليف في اللغة فيحطب من ههنا وههنا وينقل الغث والسمين والصواب والخطآء على غير علمٍ بما ينقل ولا سيما وان الكتب التي انتهت الينا مشحونةٌ بالتحريف والغلط وزاد في هذه الطينة بِلّة ان مطابعنا قلما تبالي باختيار المصححين فتطبع تلك الكتب على غلطها ويتلقاها المطالعون بالثقة . ومن تفقد النسخة المذكورة من لسان العرب وجد فيها من التحريف والتصحيف والزيادة والنقصان ما شوّه هذا التأليف النفيس وادّى الى افساد كثير من نصوصهِ وسنفرد محلاً في الضيآء لسرد ما اتفق لنا العثور عليهِ من تلك الاغلاط

خدمةً للغة وارباب المكاتب والله الموفق الى السداد

آثار ادبيّة

الجوائب المصرية ــ هو عنوان جريدة سياسية ادبية مالية تصدر كل يومٍ صباحاً لحضرة مديرها الفاضل خليل افندي المطران صاحب المجلة المصرية المشهورة .وقد تصفحنا الاعداد الاول منها فوجدناها كثيرة الفوائد اثيرة العوائد لطيفة الانشآء تنطق بما عُهد في حضرة مديرها من البراعة في صناعة القلم و بعد المدارك في مجال السياسة والادب . فنرحب بها ونتمنى لها ما تستحقهُ من الاقبال والانتشار وقيمة اشتراكها السنوي ١٦٠ غرشاً في القطر المصري و٥٠ فرنكا في الخارج

المجلة المدرسية ــ مجلة علمية ادبية مصوَّرة لحضرة مديرها ومحررها سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية بالسيدة زينب غرضها تهذيب الناشئة من تلامذة المدارس المصرية وتلقينهم الآداب الصحيحة والفضائل السامية وتخريجهم في الابواب العلمية مع إفراد قسم منها لنشر ما تتبارى فيهِ اقلامهم . ولا يخفى ما في ذلك كلهِ من الفائدة العميمة في تنشئة ابناء الوطن وتنوير اذهانهم فنحث ارباب الغيرة على تعضيدها وهي تصدر مرةً في اول كل شهر وقيمة اشتراكها السنوي ١٥ غرشاً مصرياً في القطر و٥ فرنكات في الخارج

فكاهات

الحديث شجون (١)

لجريدة التيمس الانكليزية الاسبوعية عدد غفير من الكتبة ولكلٍ منهم موضوعٌ يتفرغ للكتابة فيهِ فمنهم من اختصتهُ الادارة للمواضيع السياسية ومنهم من عينتهُ للاخبار المحلية او النبذ العلمية او غير ذلك وقد حدَّث كاتب الاخبار المحلية عن نفسهِ فقال

تركت المدرسة وانا في شوق شديد لتعاطي العمل وكنت ميالاً الى الكتابة فجعلت اعرض نفسي على اصحاب الجرائد ومؤلفي الكتب حتى وُفقت اخيرًا الى مقابلة صاحب جريدة التيمس وبعد ان عرَّفتهُ بنفسي واطلعتهُ على رغبتي قال لي اننا في احتياج الى من يكتب لنا الاخبار المحلية في الجريدة الاسبوعية فهل ذلك في استطاعتك وهل تعرف هذه المدينة حق المعرفة ويمكنك استطلاع اخبارها . فقلت وقد استبشرت ببلوغ المرام انهُ لا يوجد في كل لندن شارع او عطفة الا وقد سلكتهُ مرات واما مقدرتي على جمع الاخبار وكتابتها فاترك ذلك لحكمك حين ترى ما اكتب . قال حسنٌ فانت اذًا من الآن تكون من كتاب الجريدة ولا يذهب عن بالك انهُ يطلب منك في كل اسبوع مقدار ما يملأ عمودًا من الجريدة ويجب عليك ان تكتب ذلك بالآلة الكتابية على ورق نظيف وتقدمهُ لي في مسآء كل خميس حتى اذا وجدتهُ ملائمًا ارسلتهُ للطبع وظهر في عدد السبت . فوعدتهُ بذلك وعدت الى نفسي وقد شعرت انني قابضٌ على زمام المملكة باسرها وفي نفس اليوم كتبت اكثر مما يطلب مني لذلك العدد واعددتهُ كما ينبغي وجعلت انتظر مسآء الخميس وما صدقت ان جآء فدخلت على المدير وناولتهُ الاوراق فكان

---

(١) معرَّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

يقرأها بتأنٍ وتأمل ولما اتم قرآءتها اظهر علامات السرور وقال احسنت فاتبع هذه الخطة . وكنت قد سمعت قبلاً انهُ لا يكاد يبدي سرورهُ من كتابة احد وقد ابدى ذلك لي فتهللت فرحاً وتضاعفت همتي فكتبت في الاسبوع الثاني احسن من الاول وهكذا كنت ازيد في التحسين من مرةٍ الى اخرى مدفوعاً الى ذلك برغبتي الشديدة وما اراهُ من سرور رئيسي . غير انهُ لكل بدآءةٍ نهاية ولكل امرٍ اجل فما انتهت السنة الاولى على خدمتي هذه حتى صارت الكتابة عادةً غريزية فيَّ فلم اعد اشعر بلذةٍ في تركيب كلماتي وتنميق عباراتي ولا اجد عندي همةً للسعي في جمع اخبار املأ بها اوراقي . وقمت يوماً فاخذت نسخةً من الجريدة وقرأت فيها ما كتبتهُ بالامس فوجدتهُ ينزل كثيرًا عن كتاباتي الاولى فسآءني ذلك وعمدت الى طرح الكسل جانباً والعودة الى غيرتي الاولى فصرفت يوم الاحد بطولهِ وانا انتقل من مكان الى مكان واتنسم الاخبار فلم اعثر على شيءٍ اتخذهُ لي موضوعاً للكتابة فيهِ . ولما قطعت الامل عدت الى غرفتي واملت ان لا يفوتني ذلك في الغد ولكنني كنت اصرف اليوم بعد اليوم ولا تزداد قريحتي الا جمودًا فما شعرت الا وانا في منتصف يوم الخميس وموعد تقديم اوراقي مسآء ذلك اليوم فطار رشدي وللحال ذهبت الى الادارة فجلست الى مكتبتي واخذت اتفكر لعلهُ يفتح عليَّ بشيءٍ وكانت افكاري قد تقسمت الى ذراتٍ عديدة تطايرت في جميع انحآء لندن باحثةً عن امرٍ اتمكن من بنآء مقالتي عليهِ . وبعد الافتكار الطويل خطر لي ما جعلني اثب عن كرسيَّ فرحاً وقد تذكرت قصةً رواها لي من مدةٍ صديقٌ يدعى ارجونوت كانت مهنتهُ تضمير الجياد والمسابقة عليها . فلم أضع دقيقةً واحدة وجلست للحال امام الآلة الكتابية وكانت اناملي تتنقل على مفاتيحها بسرعة البرق وفي اقل من ساعةٍ كتبت الخبر الآتي

. . . .

يعرف جمهور القرآء المستر ارجونوت الشهير بتضمير الخيول والمعروف ببطل السباق وقد اتصل بنا عنهُ روايةٌ غريبة نرويها هنا فكاهةً للقرآء . وذلك انهُ لما

كان في الحادية والعشرين من عمرهِ وقد اشتهر ولعهُ بالجياد ومهارتهُ في المسابقة علم بهِ اللرد رندل وكان هذا مولعاً ايضاً بتربية الخيول فاستدعى ارجونوت اليهِ وعين لهُ اجرة يتقاضاهـا منهُ شهرياً ووكل اليهِ امر الاعتنآء بجيادهِ وركوبها في المسابقات المهمة . وكان هذا العمل جل ما يتمناهُ ارجونوت فبذل كل اهتمامهِ في تضمير جياد مولاهُ والعناية بعلفها وسياستها وترويضها . وفاز ارجونوت فوزًا مبينًا في اول رهان ركب فيهِ جوادًا من جياد اللرد رندل وكان هذا سبباً لانهاض همتهِ فلم يعد يحصل رهان بعد ذلك الحين الا كان ارجونوت بين المسابقين فيهِ واول الفائزين بجائزتهِ فاشتهرت خيول اللرد واشتهر ارجونوت شهرةً لم يبقَ بعدها بغية لطالب

وحدث في بعض الايام ان خرج ارجونوت للتنزه فامتطى بعض الجياد وحث المسير فما زال كذلك حتى بلغ شاطئ البحر ورأى نفسهُ في سهل من الرمال فاطلق لجوادهِ العنان وجعل يلاعبهُ ويجري بهِ شوطًا بعد شوط الى ان تعب الجواد واخذ العرق يتصبب من جسمهِ بكثرة فلما رآهُ كذلك ترجل عنهُ وقادهُ راجعاً وهو يسير الهوينى ويسرح نظرهُ تارةً في الفضآء وطورًا في امواج البحر المزبدة وهي تهاجم البر صفاً بعد صفٍّ ثم تتراجع عنهُ منكسرةً وانهُ لكذلك واذا بهِ قد استوقفهُ سماع صوتٍ شجي صادر من جهة البحر تعج الامواج فتخفيهِ ثم تسكت فيُسمع بمنتهى الرقة والعذوبة . فوقف ارجونوت ساعةً كالمأخوذ ثم كأن قوةً مغناطيسية في رجفات ذلك الصوت كانت تجذبهُ الى جهتها رغماً عنهُ فسار على غير هدًى وسار جوادهُ على هداهُ الى ان وقف ورآء صخرٍ كبير كان الصوت كأنهُ يندفع من داخلهِ فلبث حيناً ثملاً بتلك الالحان وقد خال ان جندًا من الملائكة ينشدون في ذلك الخلآء . وبعد هنيهةٍ انقطع الصوت فحبس ارجونوت نفَسهُ مخافة ان يمنعهُ عن السماع واذا بهِ يسمع وقع اقدام ثم خُيِّل لهُ ان الصخر قد انشق الى نصفين وظهرت في اعلاهُ فتاةٌ رائعة الجمال قد اكسبت شمس البحر بياض وجهها لونًا يقول للجماد كن عاشقاً فيكون . ووقع نظر الفتاة على ارجونوت وجوادهِ ولم تكن عالمة بوجود احد بالقرب

منها فدهشت ووقفت حيرى . وكان ارجونوت قد اجال بصرهُ فيها فرأى شعرًا ذهبيًّا مضفورًا ومجموعًا في مؤخر رأسها تحت قبعةٍ من العصافة الناعمة وقد ارتدت الفتاة ثوبًا كثياب النوتية شف عن جسم حسن التركيب متناسب الاعضآء قوي البنية شديد العضلات . وكانت الفتاة قد راعها وجود هذا الغريب فجأةً بالقرب منها ثم علمت حالاً ان لا خطرعليها فتبسمت وكان ابتسامها مثل رقيةٍ حلت ارجونوت من جمودهِ واطلقت لسانهُ فرفع قبعتهُ اجلالاً وقال بصوتٍ مرتجف اسألك عفوًا ايها الملك الطاهر اذا كنت قد ازعجتكِ وانما كنت مارًّا من هذا المكان فاستوقفني عن كثب صوت جوقٍ من الملائكة قادني الى هـذه البقعة بالرغم عني . فقالت الفتاة ضاحكةً ولِمَ الاعتذار يا سيدي وانت لم تفعل ما تلام عليهِ . اما ما ظهر على وجهي من الاستغراب لمرآك فهو لانني منذ عدة اشهر اتردد الى هذا المكان فلم اجد فيهِ قبـل الآن رفيقًا سوى هذا الصخر الثابت ولا نجيًّا سوى هدير البحر وزفير امواجهِ . فقال ارجونوت باستغراب وهل انتِ وحدكِ هنا يا سيدتي اني لأعجب جدًّا من وصولكِ الى هذه البقعة البعيدة عن البلدة بدون رفيق ولا مؤنس . قالت علمني الدهر ان خير رفيق هو الطبيعة وافضل مؤنس من تناجيهِ ولا يناجيك . وقد تولد فيَّ منذ عقلت ولعٌ شديد بحياة العُزلة وشوقٌ الى ميـاه البحر فكنت لا ارى سرورًا الا بجانبهِ . ولي قاربٌ تمرنت من صغري على ركوبهِ فانا اركبهُ يوميًا الى جهاتٍ مختلفة وقد اهتديت الى هذه البقعة منذ ستة اشهر فاحببتها وصرت ازورها كل يوم في قاربي فاصرف في هذا الفردوس الارضي ساعةً من الزمن واعود كما اتيت . والآن قد ازف وقت عودتي وارى قاربي يتقلقل على وجه المياه كأنهُ ملَّ من الانتظار فاستودعك الله يا سيدي . ولما قالت هذا حنت رأسها مودعةً ثم وثبت كالظبي الى جانب الصخر وقفزت عنهُ الى القارب وكان مربوطًا الى الشاطئ فحلتهُ وجلست فيهِ واعملت مجذافيها بمهارة فائقة فانساب الزورق حاملاً اياها فوق سطح البحر كانسياب الافعى امام مطارديهـا . ولم يقوَ ارجونوت على مجاوبتها بالكلام حين ودعتهُ فرفع قبعتهُ ثلاثًا ووقف يراقب الفتاة ولم يزل يتبعها

بنظرهِ الى ان غابت عنهُ .ثم امتطى جوادهُ وعاد من حيث اتى وهو مطرقٌ بنظرهِ الى الارض يفكر في ما رأى وسمع . ولما تراكمت عليهِ التصورات وخز جوادهُ ليبدد عن مخيلتهِ فانطلق يعدو بهِ كالسهم اذا فارق القوس مدفوعاً بيد قوية ولم يقف الاَّ امام الاصطبل في بيت اللرد رندل

وما جآء اليوم الثاني حتى شعر ارجونوت بقوة داخلية تدفعهُ الى مثل نزهة الامس فامتطى جوادهُ وسار قاصدًا تلك البقعة المعهودة ووجه نظرهُ الى قمة الصخر الذي كانت عليهِ فتاتهُ الفتانة . وكأن الفتاة اوحت اليها نفسها بقدوم الشاب فكانت من حين الى آخر ترسل طرفها الى جهة السهل الرملي فما وضح لها شبح ارجونوت عن بعد حتى شعرت بسرور لم تدرِ معناهُ . فلما بلغ النقطة وقف محيياً ثم قال لها قد دفعني يا مولاتي ما سمعتهُ امس الى المجيء اليوم فهل تسمحين لي ان اقف هنا قليلاً ام يضايقكِ وجودي في هذا الموضع . فتبسمت الفتاة وقالت اذا كنت من المغرمين بجمال الطبيعة مثلي فعلى الرحب والسعة . وللحال وثب ارجونوت عن ظهر جوادهِ فربطهُ الى جانبٍ وصعد الى جانب الفتاة . و بعد ما عرَّفها بنفسهِ علم منها انها تدعى لوسيل وقد مات والداها وتركا لها دخلاً كافياً لمعيشتها وانها تصرف مدة الصباح في الدرس والكتابة و بعد منتصف النهار تركب زورقها وتجيء الى هذا المكان وانها تسكن في لندن شارعاً لا يبعد كثيرًا عن بيت اللرد رندل . و بعد ما تحادثا قليلاً وانس بعضهما ببعض طلب اليها ارجونوت ان تتكرم عليهِ بمراجعة نشيد الامس ففعلت بدون تردد وكان صوتها الرائق الشجي يتصاعد الى الجوّ وينتشر في الافق آخذًا معهُ نفس ارجونوت الى عالمٍ سماويّ

ومن ذلك الحين اصبح ذلك المكان ملتقىً يومياً لارجونوت ولوسيل فكانت تنتظرهُ كل يوم بطهارة قلب وتشعر بلذةٍ فائقة حين يكون بجانبها وكان هو يشعر باضعاف ذلك وقد بلغ منهُ حب تلك الفتاة اعظم مبلغ الا انهُ لم يستطع ان يبوح لها بحبهِ بعد ان اظهرت لهُ نفسها كشقيقتهِ مع ما وجدهُ فيها من طهارة القلب الفائقة الوصف . فكان يكتفي برؤيتها يومياً وسماع صوتها العذب وانتظار موعد اللقآء

من يوم الى آخر

وذهب ارجونوت يوماً كعادتهِ الى الصخر المعهود فلم يجد لوسيل فظن ان سبباً عاقها عن القدوم وجلس على قمة الصخر يرقب البحر لعلهُ يرى زورقها قادماً . ولكنهُ انتظر مدةً طويلة فلم تأتِ فانقبضت نفسهُ وادركتهُ غصةٌ فبقي الى المساء ولما لم تأتِ طارت نفسهُ شعاعاً وعاد الى بيتهِ مشرّد الافكار حزين النفس يحارب الخواطر المضطربة التي شغلت فؤادهُ . ولا تسل عن غمهِ الشديد حين ذهب في اليوم الثاني ايضاً ولم يفز بمشاهدة فاتنتهِ فانها لم تحضر و بعد ان انتظر مدةً جلس على ذلك الصخر المحبوب وجعل ينتحب وهو لا يدري لمَ. ولما سدل الليل ستارهُ افاق الى نفسهِ فعاد من حيث اتى وقد عقد عزمهُ على زيارة لوسيل في منزلها . فتوجه الى الشارع الذي ذكرتهُ لهُ واهتدى الى البيت الذي تقيم فيهِ وقرع الباب بيد مرتجفة ضرباتٍ توازي ضربات قلبهِ في الشدة والسرعة . ففتح الباب وظهرت منهُ خادمة مسنة فسألتهُ عن رغبتهِ فقال لها انهُ يودّ مقابلة السيدة لوسيل . فقالت انها لا تستطيع مقابلة احد لان لها يومين في سريرها تشكو انحرافاً في صحتها . فازالت هذه الكلمة شيئاً من نفس ارجونوت ولكنهُ ما عتمّ ان ارتسمت على وجههِ علامات الاسف وقال للخادمة بربكِ قولي لمولاتكِ ان ارجونوت بالباب فربما تود ان تراني . وكان في كلامهِ وهيئتهِ ما جعل الخادمة تطيعهُ بدون ممانعة فغابت لحظة وعادت فأذنت لهُ في الدخول . فلما بلغ غرفة لوسيل رآها متوسدة سريرها كالزهرة الناضرة اذا لفحتها الشمس فاذبلتها فظهرت على وجههِ علامات الكمد والاشفاق وتقدم من سريرها وهو لا يقوى على الكلام . فمدت اليهِ لوسيل يدًا لطيفة وقالت لا بد انك ذهبت الى محل اجتماعنا ولم ترَني فاعذرني لعدم موافاتك الى هناك فقد منعتني الحمى عن ذلك . ولبث ارجونوت عندها ساعةً يسليها ويلاطفها وقد دار بين الاثنين حديثٌ يعرفهُ كل من اصابهُ طرف مما اصيب بهِ ارجونوت ولوسيل . وطال مرض لوسيل فكان ارجونوت يعودها كل يوم وربما كرر عيادتهُ مرتين او اكثر حسبما تسمح لهُ الاحوال

وحدث في ذلك الحين ان عين جماعةٌ من اشراف انكلترا رهانًا تتسابق فيهِ الجياد كان من عداد الداخلين فيهِ اللرد رندل . وكان اعتمادهُ على ما يعلم من جودة خيلهِ ومهارة ارجونوت قد جعلهُ على ثقة من الفوز بدون شك فراهن على ذلك بمبالغ طائلة . واستدعى اللرد ارجونوت فاعلمهُ بالامر واوصاهُ ان يبذل جهدهُ في الاستعداد اللازم لانهُ ان لم يفز بالسبق يخسر اللرد من اموالهِ القسم الاعظم الذي راهن عليهِ . فوعدهُ ارجونوت خيرًا ولكنهُ لم يتمكن من القيام بوعدهِ وتمرين الجياد لانهُ وان كان جسمهُ في بيت اللرد فروحهُ وعقلهُ في بيت حبيبتهِ التي كان المرض يشتدّ عليها يومًا فيومًا . وقبل موعد السبق بيومين كان ارجونوت بجانب فراش لوسيل وكانا قد اعترفا لبعضهما بالحب وجددا عهود الولآء فقالت لهُ تحدثني نفسي ايها الحبيب انني لست بعائدةٍ الى صحتي الاولى وان ايامي قد قاربت الانتهآء فبربك لا تبتعد عني بعد الآن وزوّدني ما استطعت من وجودك قبل وفاتي . وكانت كلماتها هذه تحرق فؤاد ارجونوت فيبذل جهدهُ في تسليتها وتطييب خاطرها وتعليلها بالشفآء القريب وهو لو كان في امكانهِ لاشترى بحياتهِ صحة جديدة ووهبها لها . فكان يذهب الى بيت اللرد ويقوم بما يطلب منهُ بمنتهى السرعة ويعطي الاوامر اللازمة للسوّاس ويعود حالاً الى حبيبتهِ فيقف عند سريرها وهو لا يغمض لهُ جفن مواظبًا على مناولتها العلاجات والاعتنآء التام بها . فمضى عليهِ يومان لم يزر الكرى اجفانهُ ولم يذق طعامًا وفي اليوم الثالث وهو موعد الرهان احتشد المراهنون في المكان المعين وكان اللرد رندل يراقب جوادهُ وارجونوت بعين ملؤها سرور وثقة بالفوز . اما ارجونوت فكان يسير على غير هدًى كشاربٍ ثملٍ وقد اضناهُ التعب والسهر . ثم ازفت الساعة المقررة فركب المتسابقون واعطيت لهم العلامة فاندفعت الجياد بهم اندفاع السيل المنهمر . وكان قد بلغ الجهد والنعاس من ارجونوت فلم يسر جوادهُ كثيرًا حتى اطلق لهُ العنان واطبق جفنيهِ فنام على ظهر الجواد كأنهُ على فراشهِ ولم يفق من نومهِ الا حين ارتفع هتاف الحضور يشق عنان السمآء فوجد ان جوادًا آخر قد بلغ الغاية قبلهُ ببضع اقدام . وادرك ارجونوت

ذنبهُ وتقصيرهُ بعد فوات الوقت فردَّ رأس جواده ِوعاد حزيناً ذليلاً . ولم يعرف اللرد رندل سبب تقصير جواده ِفنسب ذلك الى معاكسة الحظ واضطر الى دفع المبالغ الطائلة التي راهن عليها . وكرهت نفسهُ الجياد من تلك الدقيقة فباع خيولهُ واخبر ارجونوت انهُ لم تعد لهُ حاجة به ِ. ولم يصدق ارجونوت ان سمع منهُ ذلك حتى ترك بيت اللرد وطار مسرعاً الى بيت حبيبته ِ

ولما شعرت بقدومهِ فتحت عينيها المطبقتين بسكرات الموت وقالت لهُ بصوت ضعيف احمد الله على مجيئك لاراك قبل سفري الاخير .ِ ورأى ارجونوت ان ذراع الموت كادت تضم جسم حبيبته ِفطوَّقها بذراعيهِ وضمها الى صدره ِكأنهُ يدافع عنها والقت رأسها على كتفهِ فانحنى عليها وتقابلت افواههما لاول مرة وارتسمت على شفتيهما قبلة الحب الطاهر . و بعد هذا العناق قالت لوسيل حسبت يا ارجونوت انني ساعيش سعيدة واياك ولكن الله قضى لي بسعادةٍ اعظم وهي ان اكون مع والديَّ وها انا ذاهبةٌ اليهما فتصبر ايها الحبيب لغيابي واستعدَّ لاتباعنا اذ لابد من اجتماعنا بعد حين وقد فاتنا ذلك هنا فسيكون هناك . واعلم ان ليس لي من الاهل او المعارف احد اهتم به ِسواك واذ قد تعاهدنا على الحب والولآء فانت زوجي ولو لم تضم رأسينا بركة الاكليل وعلى هذا قد كتبت كل ما املكهُ باسمك وفي املي انك لا تكدّر ساعتي الاخيرة برفض ما ارجوهُ منك فاقبل هذا التذكار الحقير مني وتزوج حالما تجد شريكةً تناسبك وأسأل الله ان يهبك مولودةً فتدعوها لوسيل لتذكرك بي دائماً وتهبها متى كبرَت ما اهبك اياهُ الآن

وكان اجهاد لوسيل نفسها قد زاد ضعفها فصمتت اما ارجونوت فلم يستطع كلاماً ولما رأت دموعهُ المنهمرة قالت لهُ عِدني ان تفعل حسب رغبتي . قال اعدك بكل شيء الا الزواج فلن يخطر في بالي ما حييت . قالت ولكن لوسيل .. قال كوني براحة فساجد ابنة ادعوها لوسيل واجعلها تمثل امامي دائماً ملكي الحارس . ومدت لوسيل ذراعيها حول عنق ارجونوت فضمتهُ اليها وضمها اليهِ وتمتمت بكلماتٍ منخفضة فهم منها فقط « استودعك الله الى الملتقى » ولفظت تلك المسكينة روحها النقية

في آخر قبلةٍ رسمتها على فم ارجونوت الحزين فاعول و بكى وقضى ساعاتٍ بقرب جثة حبيبتهِ نادباً

و بعد ما دُفنت لوسيل فكّر ارجونوت في اتمام وصيتها.وكان قد آلى على نفسهِ ان لا يتزوج فقصد ديرًا للراهبات اخذ منهُ لقيطةً صغيرة فدعاها لوسيل واقام واياها في بيتهِ فجعل تركة الفقيدة لهذه الطفلة وبقي هو قيماً عليها

. . . .

ولما أتمّ الكاتب القصة واعاد قرآءتها سرّ سرورًا عظيماً ولكنهُ ما لبث ان قطبَ حاجبيهِ وقال اواه قد ذهب تعبي سدًى لان ارجونوت لما اخبرني بهذا الامر حلفني ان لا اذكرهُ الا بعد موتهِ ومن يعلم اين هو الآن . . . و بعد ما فكر هنيهةً ذهب الى كاتب الاخبار فقال لهُ هل تعلم شيئاً عن ارجونوت المسابق الشهير . فقلب الكاتب بعض دفاتره وقال قد توفي منذ اربعة اشهر . فلما سمع ذلك كاد يطير فرحاً وكان قد صار المسآء فأخذ مقالتهُ وقدمها الى المدير وفي اليوم الثاني نُشرت الجريدة وفيها هذه القصة فكان لها احسن وقع عند القرآء وتواردت التهاني على الكاتب من كل صوب

و بعد نحو شهر من تاريخ صدور الجريدة جآء رجلٌ غريب الهيئة وطلب مواجهة الكاتب فأُدخل عليهِ ولما خلا بهِ تفرّس فيهِ الكاتب مليًّا ثم صاح بدهش عظيم ألست أنت ارجونوت . قال بلى انا هو . فقال الكاتب ولكن بلغني انك مت منذ خمسة اشهر . قال انا اصدق ممن اخبرك وهآءنذا امامك حيٌّ أرزق . فقال الكاتب اعذرني اذًا ايها الصديق لنشري قصتك في الجريدة فانني لم انشرها الا بعد ان تحققت انك توفيت . فتبسم ارجونوت وقال لا تبتئس يا عزيزي وانا لم آتِ لاعاتبك.بل لاشكرك على نشر هذه القصة فانها قد سببت لي سرورًا عظيماً وانالتني راحة ضميري . وذلك اني بعد وفاة لوسيل انقطعت الى تربية الابنة الصغيرة ولما راقت احوالي جعلت افكر في ماضيّ ووجدت انني كنت السبب في خراب اللرد رندل فاتعبني ضميري جدًّا وصممت ان ابذل جهدي لاصلاح ما افسدتهُ وعلمت

ان اللرد رندل عرف بعد حين بما كان من امري فزاده ذلك على اسفهِ لفقد مالهِ مقتاً لي وكراهةً لذكري . و بعد اعمال الفكرة اخذت لوسيل وسافرت بها الى بلدةٍ بعيدة حيث اشعت خبر وفاتي وصرت اراقب الفرص الى ان نُشرت قصتي في جريدتك وتحقق الجميع خبر موتي . وكنت في هذه الغيبة قد اطلقت شعر لحيتي كما ترى وغيرت شيئاً من هيئتي وجئت منذ اسبوعين الى لندن وقابلت اللرد رندل فعرضت عليهِ ان يوليني امر الاعتناء بخيولهِ والمسابقة لهُ عليها فلم يعرفني وكان قد عاد الى الانشغاف بالخيل والمسابقة فقبل . وما صدقت ان سمعت منهُ ذلك حتى انخرطت في خدمتهِ واتفق ان كان السباق الشهير منذ اربعة ايام فأشرت الى اللرد ان يراهن على اي مبلغٍ شاء فقال لي انهُ لن يفعل لانهُ خسر ثلثي مالهِ في امرٍ كهذا بسبب تقصير المسابق ارجونوت وهو لا يود ان يخسر الثلث الباقي. فقلت لهُ ولكنني اؤكد لك يا مولاي انك ستربح في هذا السباق اربعة اضعاف ما خسرت في الماضي والححت عليهِ فقبل ولم تعد تُرى قائمة للمراهنة الا وفيها اسم اللرد رندل بمبالغ باهظة . ولما جاء اليوم المعين بذلت الجهد حتى فزت بالسباق وربح اللرد حقيقةً ما لا يحصى من المال فاستدعاني اليهِ في مساء ذلك اليوم ووهبني عشرة آلاف ليرة مكافأةً لي وقال لي انهُ كان يعتقد قبل معرفتي انهُ لم يقم في العالم امهر من ارجونوت في ركوب الجياد . فتبسمت وقلت لهُ وهو يا مولاي بنفسهِ يعوض الآن عما ارتكبهُ في الماضي. ثم اعلمتهُ بما كان من امري وطلبت منهُ الصفح فصفح لي واعادني الى خدمتهِ كالسابق . وقد قدمت الآن لاشكرك على مقالاتك فانها كانت السبب في ما وصلت اليهِ وبواسطتك قد ربحت هذا المال الذي نصفهُ حقٌّ شرعي لك . والحَّ ارجونوت على الكاتب فقبل منهُ نصف ما اهداهُ لهُ اللرد وبقي ارجونوت بعد ذلك في وظيفتهِ لا يهمهُ من العالم باسرهِ سوى ابنتهِ لوسيل وجيادهِ